يتحرك بما يوحي ان ارادته غير مغلولة .

هذا الموقف يعكس ، بالطبع ، الوضع السياسي للعرب الفلسطينيين منذ بدء الهجرة اليهودية وبعد ذلك بزمن طويل .

وبالمقابل ، يعمد « كابليوك » الى التسلل اولا ، ثم اظهار القوة بالتدريج واستخدامها دون هوادة حيثما كان ذلك ضروريا . ومن خلال شعوره بالظلم والاضطهاد ، ومن خلال توجسه من موقف الاخرين تجاهه ، لا يخامره اي شك في انه يدافع عن قضية مصيرية بالنسبة له . انه يبدو اعمق وعيا واقوى تصميما من « علي » ، بينما يبدو « علي » اكثر صدقا وارهف حساسية . ولكن « كابليوك » ايضا حساس بطريقته الخاصة انه مسكون بسلسلة من العقد والاوهام ، تجعله عرضة لاستثارة غير سليمة كلما لمس احد المؤثرات المعينة ساحة شعوره . ها هي سيالة وعيه المعقد تنثال على لسانه عندما وصفه علي بأنه قاتل :

« فليست هذه هي المرة الأولى التي يدعونك فيها بالقاتل ، وانت تقاوم فيك القتل . كان ذلك غداة الاستقلال ، وقاومت تقريبا بغير سلاح . عدد قليل جدا ! ضعفاء ضد اقوياء ! وحاولوا أن يخنقوا في البيضة هذا الاستقلال ، وأن يضعوا حدا لآخر أمل للشعب اليهودي في ذلك الوقت الذي عرف التهديم والتجديد والانطلاق . فوقف الى جانبك أحسن القادة وأحسن العسكريين الذين قادوا فرقهم إلى معركة فرضت عليهم ، وقادوها الى نصر ، إلى نصر محتم لانهم يدافعون عن الحق » (ص ٨١ من الرواية)

ان موقف كابليوك ــ كما هو واضح ــ يمثل الموقف الصهيوني اليهودي في الصراع : التسلل : الحذر : التخطيط : التظاهر بالرحمة وابطان الايمان بالقوة : الاعتداد بالنفس : التعلق المصيري بالهدف : الاندفاع بفعل عقدة الاضطهاد .

وهكذا يكون كل من « علي » و « كابليوك » نموذجي الصراع ، وهكذا تكون معادلة الصراع غير متوازنة ، ويكون موقف « كابليوك » هو الأقوى ولو الى حين .

وبالطبع ، من عناصر ضعف « علي » أنه نزع نفسه أو إنتزع إنتزاعا من إطار الأهل والصديق ، واستغرق فترة طويلة حتى اهتدى الى سياج بديل من التأييد (النضال العمالي) يستند اليه في مقابل استنا د الصهيوني إلى اطاره اليهودي والاستعماري والأوروبي .

٤ ــ صراع النقيضين معقد جدا لأنه صراع بين طرفين عقدتهما المعاناة وخلافا لما قد يتبادر للذهن اول وهلة ، يكتشف الانسان لدى التعمق في « النقيض » ان الصراع معقد جدا ، للاسباب التي ذكرت سابقا من جهة ، ولأن الطرفين كليهما ــ من جهة أخرى ــ تعقدا بفعل المعاناة والبؤس والاضطهاد واللااستقرار ، وما يعتبر انه تنكر الآخرين لهم . وصحيح أن نصيب الطرف الصهيوني (كابليوك) من هذه الصفات كبير وظاهر ، ولكن نصيب الطرف الفلسطيني (علي) من ذلك ليس قليلا وإن كان أقل بروزا .

ومن الصعب ان يجزم القارىء بأن مؤلف الرواية قصد قصدا الى معالجة هذه الناحية النوعية ، ولكن يظل حق القارىء ان يتوصل إلى هذا الاستنتاج .

وربما كان الاستعراض التالي السريع لطبيعة كل من الطرفين ــ كما يبدو من الرواية ــ كفيلا بتفسير هذا الاستنتاج .

الطرف الفلسطيني :

ــ ضحية عقدة الذنب بسبب تفريطه بالحق والأرض .

ــ ضحية الشعور بالغربة وما تفرضه على صاحبها من قيود وما تجره عليه من معاناة وتعرض للأذى ومذلة .

ــ ضحية التوق الدائم للأرض والشعور المؤلم بالحرمان منها ، وبالتالي بالحرمان من حق الحياة والحرية والكرامة .

ــ ضحية عقدة المعاناة من انقلاب الأهل والصديق وتنكرهم وخذلانهم اياه .

ــ ضحية عقدة الشعور بالضعف وبضخامة العدو وبتألب العالم مع العدو .

ــ ضحية غموض هدف النصر ، وضآلة الأمل ، على الرغم من رسوخ الايمان بضرورة مواصلة الكفاح مهما كبرت التضحيات *.

الطرف الصهيوني :

---

* يجد القارىء تفصيلات هذه النقاط ومناقشتها في البحث المشار اليه سابقا حول « الموضوع الفلسطيني في ثلاث روايات فلسطينية » .